جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)

Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)

مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 2015-5845

ر ت م د إ: 6202-537X

التعليم العتيق واستمرارية المدرسة القرآنية بالمغرب

"religious education and the continuity of the Quranic institutes in Moroccoo"

د. إبراهيم نادن

جامعة القاضي عياض- المملكة المغربية

nadinebrahim@hotmail.fr

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020-06-23	2020-10-26	2020-10-25

المرجع: إبراهيم نادين، « التعليم العتيق واستمرارية المدرسة القرآنية بالمغرب»، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص: 399-437.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294.

التعليم العتيق واستمرارية المدرسة القرآنية بالمغرب[1]

"religious education and the continuity of the Quranic institutes in Moroccoo".

د. إبراهيم نادن

جامعة القاضي عياض– المملكة المغربية

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالتعليم العتيق بالمغرب، هذا النوع من التعليم الذي عرفه شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي ،والذي كانت تعقد حلقاته بالكتاتيب القرآنية والمساجد ،وقام على تدريس القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية .ومن أجل ذلك وقفنا عند البدايات الأولى للتعليم الديني بالمغرب تزامنا مع الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا الذي كان للمدرسة القرآنية الدور الكبير في رسم معالم حضارته بالغرب الإسلامي، وفي تثبيت نظم دوله، وفي طبع الشخصية المغربية بميسم القيادة السياسية والبناء الحضاري الذي يتأسى بالمنهج النبوي في عمارة الأرض ونشر رسالة الإسلام وتحقيق غاياته، ولم يفت البحث في أثناء ذلك الحديث عن استمرارية هذه المدرسة وإعادة هيكلتها في ظل التحديات المعاصرة .

الكلمات المفاتيح: المدرسة القرآنية- اللغة العربية- الحضارة الإسلامية- التحديات المعاصرة- الأمن الروحي.

[1] الأصل في هذا البحث مداخلة أرسلت للمشاركة في ملتقى المدرسة المغاربية في اللغة العربية والدراسات القرآنية الذي نظمه مخبر اللغة وفن التواصل بالتعاون مع قسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب واللغات بجامعة المدية بالجمهورية الجزائرية يوم الأحد والاثنين 02 و03 صفر 1439 الموافق ل 22 و23 أكتوبر 2017، وحظيت بقبول اللجنة العلمية الموقرة للملتقى.

Abstract:

This paper aims to make known religious education in Morocco, which had accompanied the Islamic 'Fath' of North Africa in the first century of Hegira/ 7th century AD. It talks about the first initiations of teaching Qu'ran and Arabic language in Qur'anic schools and mosques. The researcher who follows the development of these Qur'anic institutes can conclude that they have important role in the evolution of the civilization of the Islamic West and at the consolidation of the political regimes of its states. The research also deals with and wonders about the continuity and restructuring of these institutes in nowadays Morocco especially with the challenges of the modern civilization.

Keys words :Qu'ranic mosques- North Africa- Arabic language- civilization- Islam.

المقدمة:

عنوان هذا البحث هو" التعليم العتيق واستمرارية المدرسة القرآنية بالمغرب"، ويهدف إلى التعريف بالتعليم العتيق بالمغرب، هذا النوع من التعليم الذي عرفه شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي، والذي كانت تعقد حلقاته بالكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، وقام على تدريس القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية انطلاقا من مؤلفات ومتون أشهر علماء العالم الإسلامي، وتمثلت رسالته في نشر الدين الإسلامي، والتعريف به في كل أرجاء المغرب، وتوفير الأطر المؤهلة والكفاءات العلمية التي تولت مهمة التدريس والفتيا والإمامة والخطابة والتوثيق والعدالة، وشؤون الإدارة والاستشارة السلطانية، كما تخرج منه العديد من العلماء والمفكرين، وشارك خريجوه في الجهاد ومقاومة العدو الأجنبي مما دل على ارتباطه الدائم بشؤون الأمة وقضايا الوطن، ومن أجل ذلك سيكون السؤال الذي يتحكم في هذا البحث هو: ما هي الاستراتيجية الوجدانية العميقة التي تجعل العناية بالمدرسة القرآنية مستمِرة على الرغم من المتغيرات الحضارية المختلفة التي تشهدها المراحل التاريخية المتعاقبة، والتي تأتي بتحديات متجددة ملأى بالأسئلة التي تستهدف المقومات الرئيسة في الشخصية من قبيل: اللغة، الهوية، الثقافة، النموذج الحضاري، وغير ذلك من الأركان الرئيسة لدى الإنسان المغربي؟،وقد استلزم الجواب عن هذا السؤال تفريع الموضوع إلى عناوين كانت كالتالي:

- **عن البدايات الأولى للتعليم الديني بالمغرب.**
- **أثر الدراسات القرآنية على الشخصية المغربية.**

- **رسالة المدرسة القرآنية في ظل التحديات المعاصرة.**
- **الحاجة إلى هيكلة التعليم الديني بالمغرب.**
- **خاتمة.**

عن البدايات الأولى للتعليم الديني بالمغرب:

يبدو لي أن أنسب كلمة أفتتح بها الحديث تحت هذا العنوان المركزي ليس في هذا البحث فقط، بل في الواجهة الاستراتيجية لمضمونه في جغرافية إقليم الغرب الإسلامي، وتاريخ حضارته عموما، كلمة قرأتها في أحد المؤلفات التي ما زلت أرجع إليها بين الحين والآخر منذ فترة الشباب ،وهو كتاب للدكتور أحمد سليم سعيدان: "مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام"، ويعود السبب الأول في حبي لهذا الكتاب أن كاتبه تأخذه غيرة على الواقع الإسلامي الذي تغيب فيه روح المنهجية العلمية في تدبير شؤون المجتمعات اليومية، وفي تدبير المعاملات وأمر الأخلاق والسلوك مما يعتبر من جوهر الإسلام ودعوته، وكان من أخلاق المسلمين الأولين ،وأصبح مفتقدا في خلفهم، ويعترف الكاتب بحضور تلك القيم في المدنيات الغربية، وأخلاق مواطنيها، ومن أجل ذلك أحببت أن أفتتح هذا البحث بجملة وجيزة من هذا الكتاب غير أنها ذات دلالة حضارية كبرى، وعلى صلة قوية بفكرة هذا الملتقى العلمي العظيم، وبموضوع البحث الذي أعرض فيه التجربة المغربية الراهنة في التعليم العتيق باعتباره النظام الجديد المحتضن للمدارس القرآنية بالمغرب، يقول الباحث: "خرج العرب على العالم بالفتوح الإسلامية الخاطفة، فحكموا بلادا أهلها فرس متحضرون، وبلادا كان يحكمها روم

متحضرون. وأخذ أهل البلاد من العرب شيئين لا يقدران بثمن، هما الدين الإسلامي الحنيف، واللغة العربية الجميلة،.."[1]، وهو الشيء الذي استمرأه أهل المغرب كذلك، والذين كانوا أمازيغ عاشوا الحروب مع أجناس وثقافات متنوعة غير أن تأثيراتها الثقافية كانت ضعيفة، وكأنهم كانوا ينتظرون أفقا جديدا ينسجم وطبائعهم الميالة إلى الحرية والاستقلال، وينسجم ووعيهم الجمعي النابذ للعبودية والتجبر، وذلك ما وجدوه في الإسلام الذي استمالهم إلى جانبه، وأدخلهم في حظيرته، يقول د.**عبد الله كنون**: "وكان أكثر ظاهراته تأثيرا عليهم ثلاثا:

1- يسر شريعته، وسماحته غير المحدودة، فكل تعاليمه هين سهل، يمكن الإحاطة به والقيام عليه في غير تعب ولا عناء، والإسلام كما لا يخفى، دين الفطرة الخالي من التكاليف الشاقة التي تجعله عبئا ثقيلا على كواهل معتنقيه إذ ليس فيه إلا ما ينطبق على النظر والمصلحة العامة.

2- حسن معاملته لكل من يدين به، ويحتمي بحماه، فما هو إلا أن يتعلق بسبب من أسبابه، حتى يصبح عضوا عاملا في جماعته الكبيرة، لا يميزه عن بقية أعضائه مميز، ولا يفصل بينه و بينهم فاصل، واعتبر في ذلك في ابن الكاهنة المغربية المشهورة في التاريخ بطول مقاومتها للإسلام ومحاربتها للآتين به، حتى ماتت، فإنه ما لبث أن ولي على قومه بعد

[1] د.أحمد سليم سعيدان: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ربيع الأول 1409 هـ- نوفمبر 1988، ص:164-165.

إسلامه، ولاه حسان بن النعمان عامل عبد الملك بن مروان على إفريقية، الذي قاسى من أمه الأمرين.

3- رفق الولاة المسلمين وعدلهم، وتشربهم بروح الديمقراطية الحق التي جاء بها الإسلام، مع ما كانوا عليه من الأخلاق الفاضلة والسجايا الكاملة حتى لقد أكبر هؤلاء المغاربة دينا أنجب مثل أولئك الرجال الأفذاذ، وكون مثل تلك الشخصيات الكبيرة التي ينذر وجودها في التاريخ"[1]، وقد سارت اللغة العربية بسير الإسلام فأصبحت لسان الدولة الرسمي منذ أيام حسان بن النعمان الغساني، أحد ولاة إفريقية من قبل عبد الملك بن مروان[2]، وبناء على هذه الإشارات التاريخية، واعتمادا على الحقائق التاريخية الماضية والحاضرة يستطيع الدارس أن يستنتج أن الجسر الثقافي بين المشرق والمغرب أنتج حضارة جديدة في شمال إفريقيا والأندلس كما تشهد على ذلك نشأة المراكز الثقافية المتنوعة منذ ذلك الوقت، وانتشار الإسلام في أوروبا وإفريقيا، وظهور دول كبرى يحتفظ التاريخ بقوتها وبعظمتها في المجالات الثقافية والحضارية المختلفة، وفي كل ذلك كنا نقف على دور المدرسة القرآنية في صنع هذه القوة وهذه العظمة حيث كانت القلب الحضاري الذي يضبط مسار المجتمعات والدول ويوجهها، ويرسم سياستها الحقيقية، ويضمن استمرارها، ذلك أننا نرى في المحاولات التي قام به حسان بن النعمان، وأعمال عمر بن عبد العزيز وموسى بن نصير في إنزال الفقهاء

---

[1] ذ.عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الثقافة، ط2،ج1، ص:40-41.

[2] نفسه:42.

لتعليم الناس القرآن وتفقيههم في الدين أثرا كبيرا في تشبع المغاربة بالدين الجديد وتعاليمه وأخلاقه وأهدافه مما كان عاملا قويا في فتح الأندلس، وفي الميل نحو الحق لدى جمهور المغاربة كما تجلى في نصرتهم لآل البيت الفارين من الاضطهاد الذي طالهم بالمشرق، وفي محاربتهم المذاهب التي تبينوا فيها البعد عن المنهج النبوي، والتي بدأت تبحث لها عن مواقع في المغرب و في شمال أفريقيا عموما دون أن يحالفها الحظ في ذلك، ولعل ما يبرز هذا الميل والقرب من الحق ما ظهر في دعوات الدول التي قامت بعد أفول نجم الأدارسة بالمغرب، ومن أول هذه الدول دولة المرابطين فإنهم بعد أن مات زعيم دولتهم الأولى محمد بن تيفاوت قام بالأمر بعده أبو زكريا الكدالي الذي رأى أن أمر الدولة لا يقوم إلا بالعلم، وهو لا يكسب منه إلا المقدار الذي ناله من الأربطة، فذهب إلى الحجاز، ثم رجع إلى بلاده عن طريق القيروان، وبقي في هذه العاصمة العلمية مدة يتفقه في الأدب والدين، وهناك التقى بالفقيه أبي عمران الفاسي، حيث شكا له تدني المستوى العلمي بالمغرب، حيث نصحه بالاعتماد على الشيخ وجاج بن زلو اللمطي هذا الرجل الذي كان تعلم بالقيروان ثم رجع إلى وادي نفيس بالمغرب ليكرس حياته لتعليم المصامدة، ونص الرسالة التي أعطاها أبو عمران الفاسي لأبي زكريا الكدالي لتبليغها إلى وجاج اللمطي كالتالي: "أما بعد فإذا وصلك حامل كتابي هذا–وهو يحيى بن إبراهيم الكدالي– فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويفقههم في دين الله. ولك وله في ذلك الأجر العظيم، والله لا

يضيع أجر من أحسن عملا"، والمقصود من ذلك هو تعمير الأربطة بالطلبة والأساتذة المرشدين لتقوم على ذلك دولة المرابطين في وقت عرف المغرب والأندلس مظاهر الفوضى بعد زوال الحكم الإدريسي، ودب الضعف إلى بني أمية بقرطبة، والذي كان يمهد لعصر الطوائف بالأندلس، وكل ذلك يبرز أن الإصلاح المنشود كان يتوقف على قوة بإمكانها السيطرة على الوضع وضمان الأمن العام في الغرب الإسلامي بأكمله، وهو ما كان يبحث عنه أبو زكريا الذي كلف بإبلاغ الرسالة إلى وجاج بن زلو هذا الأخير الذي بمجرد اطلاعه على مضمونها نهض لاستعراض طلبته، وانتخب منهم **عبد الله بن ياسين** الذي يعتبر المدون للفلسفة المرابطية، والمرتب للتعاليم الدينية الجديدة المرابطية، حيث اعتنى بإعادة تنظيم التعليم بالأربطة فباشر ذلك بالمغرب، وعهد به إلى المصلح الكبير **أبي بكر اللمتوني** بالصحراء الذي عمل على نشر الثقافة العربية في دواخل السودان، وبث الأربطة في تلك الأصقاع النائية، وعندما عم إشعاع هذا النظام الرباطي جاء يوسف بن تاشفين، وأسس الدولة المرابطية، وبنى عاصمته مراكش، وأعاد فتح الأندلس، فما هو التعليم الرباطي، وماهي تعاليمه التي كانت وراء قيام هذه الدولة الموحدة، إنه تعليم بسيط كبساطة الإسلام الأولى: حفظ القرآن وتفسيره مع ما تمس إليه الحاجة من العلوم الآلية التي لا بد منها[1].

[1] انظر كتاب: دولة الإسلام في الأندلس، تأليف محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة،

أثر الدراسات القرآنية على الشخصية المغربية:

يستخلص من العرض الموجز السابق أن وجود القرآن الكريم منذ الفتح الإسلامي بالمغرب باعتباره الأصل الأول من أصول التشريع قد طبع الشخصية المغربية بميسم القيادة السياسية والبناء الحضاري الذي يتأسى بالمنهج النبوي في تحقيق الغايات الآجلة والعاجلة للدين الإسلامي، وأول تلك الغايات تحقيق الأمن الروحي للبشرية جمعاء دون تمييز بين عربي وعجمي "ولا غرو أن عمد الفاتح عقبة بن نافع رضي الله عنه عندما فتح المغرب سنة 62 هـ إلى إسناد مهمة تحفيظ القرآن الكريم إلى بعض العلماء، من أمثال **شاكر ابن عبد الله الأزدي** صاحب الرباط المشهور، ومن ذلك التاريخ إلى اليوم توثقت الصلة بين المغاربة والقرآن الكريم.. وسلكوا من أجل حفظه وإتقانه جميع السبل في الحواضر والبوادي...[1]،وهذا يبرز معالم البنية اللاشعورية للعقلية المغاربية التي حافظت على هويتها الخاصة منذ مقاومتها لحضارات سابقة لتكتشف مع الإسلام طبيعة فكرها ونوعية عقليتها وميلها العقدي إلى دور الدين في البناء الحضاري الذي يقوم كما يرى **وول ديورانت:** "على عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، ويبدأ هذا النظام الاجتماعي حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا أمن الإنسان من الخوف، تحررت في

ط2 ،1411-1990، ص:41-44.

[1] ذ.محمد حافظ: دور الكتاب القرآني في الحفاظ على القرآن الكريم بالمغرب، الكتاتيب القرآنية، الآليات، الأهداف، الآفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،ج1، ص:61.

نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية ستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها"[1]، ولنا في المثال السابق عن قيام دولة المرابطين في شمال إفريقيا خلال القرن الخامس الهجري خير مثال – وأعود فأقول إني أمثل في هذا السياق بالنموذج المرابطي في أكثر من مرة– باعتباره كما قال **د.عباس الجراري** "يعتبر بحق بداية الحكم المغربي المنظم والقوي المستقر"[2]–، فإن ابن تاشفين ملك المرابطين لما فتح الأندلس اكتشف عالما جديدا مخالفا لعالم الصحراء الذي اعتاده، من حيث دوره في الرقي العلمي والأدبي والفني، فعزم على نقل ذلك إلى مراكش وهكذا نقل المعمار ببناء الجوامع والقصور الأندلسية، ونقل الثقافة ببناء جامعة مراكش، كما نقل نبهاء العلماء والأدباء إلى عاصمته مراكش، فانظر إلى قيمة الاستقرار ودوره في البناء والرقي، وأنظر إلى المرجعية الثقافية الإسلامية المنطلقة من القرآن الكريم ومساهمتها القوية في قيادة هذا الفكر البناء، أنظر إلى ذلك من خلال ما كان يعم المغرب والأندلس قبل وصول المرابطين إلى الحكم، فترى فلسفة السير الحضاري الإسلامي المنطلق من المدرسة المحمدية والعائد إليها، وذلك ما يدركه حقا المنصفون من الباحثين الذين يغوصون في عمق مكونات الحضارة الإسلامية، ولا شك فقد كان **رجاء جارودي** محقا حينما أنصف السير الحضاري العربي بالأندلس بقوله: "إن ما يسميه الغرب "بغزو إسبانيا" لم يكن غزوا عسكريا فقط كغزوات الأوربيين، فإسبانيا كان فيها من

---

[1] ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة د.زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965، ج1، ص:3.

[2] د.عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ص:49.

السكان عشرة ملايين، ولم يدخلها من الفرسان العرب أكثر من خمسين ألف فارس... ولو كان الأمر حربا فقط لما نجحوا، ولكن تفوق حضارة على أخرى كان هو عنصر النجاح الساحق...فالحضارة التي زرعها العرب عندنا في أوربا، وبالقرب منا في إفريقيا تمتد جذورها إلى الشرق في آسيا ..."[1]، وكل ذلك مما يبرز سبل تواصل البرنامج الحضاري الإسلامي بالغرب الإسلامي منذ الفتح الإسلامي، وكيف انتقل من المراكز الثقافية المغربية الشهيرة إلى إفريقيا فساهم في رسم الجسور الحضارية بين الشرق والغرب، وكيف تمثل عبره ووظائفه الباحثون قديما وحديثا، ولا يخفى ما في ذلك من دور للعلماء والرحلات العلمية وانتقال الكتب ومختلف أشكال التبادل الثقافي بين المشرق والغرب الإسلامي من دور في ترسيخ دور الدين، وتشبث الأهالي به، وعلوقه بشغاف قلوبهم جعلته القوة المتمكنة في كيان شخصياتهم الفردية، وفي تأطير نظام الحكم للدول خاصة و "أن تعاليم الإسلام تقضي بعدم انفصال الدين عن السياسة، فالمسجد صعيد للأمرين معا، ولهذا نجد الجامع في الأيام الأولى للإسلام كان لا يبعد عن دار الإمارة، كما كان الأمر في المدينة المنورة والفسطاط ودمشق والبصرة والكوفة وفاس..."[2]،و هذا ما جعل الدارسين يستنتجون أن " المدارس العتيقة لم يسجل عليها التاريخ أبدا إلا خدمة العلوم الإسلامية والتربية الروحية، وتزويد الأمة بعلماء فقهاء أجلاء وقضاة

---

[1] د. أحمد بهاء الدين: استثمار التاريخ والحوار بين الحضارات، مجلة العربي، ع: 243، فبراير 1979، ص: 17-18.

[2] د.عبد الهادي التازي :جامع القرويين، المسجد والجامعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط،1973،1، مج 1و2، ص:444.

وعدول وموثقين وخطباء وأساتذة ومفتين ومصلحين ومؤطرين، إذ يقوم الفقهاء عبر العصور السالفة قبل أن تنظم الدولة هذه الوظائف بعد الاستقلال بهذه الأدوار كلها..."[1]، ومن هذا المنطلق نرى القادة على أعلى مستوى، لم يكونوا فقط يهرعون إلى هؤلاء العلماء باعتبارهم الملاذ الوحيد، ولكنهم كانوا يتلذذون بانتقادهم ومتابعاتهم، يجدون فيها وقعات الجرس المحبب الذي يهدي إلى الطريق السوي لا سيما وأن هؤلاء العلماء لم يكونوا دعاة نظريات، يرتضون بالمواقع الخلفية، ولكنهم كانوا دائما في المقدمة، وعدد كبير منهم شارك في مختلف المعارك، وتحصنوا بالرباطات من أمثال: **الورياغلي** (894 هـ)، و**ابن غازي** (911 هـ)، و**البهلولي** (943 هـ)، و**أبي المحاسن** (1013 هـ)، و**ابن القاضي** (1025 هـ)، و**القنطري** (1018 هـ)، و**ابن عاشر** (1040 هـ)[2]، ونتيجة هذا يختزن أهل المغرب منذ هذه العصور الغابرة عن التعليم العتيق بأنه: "التعليم القديم بكل أشكاله وفنونه، فهو يشمل التعليم الذي يتلقاه الطلبة في المسجد أمام الفقيه، كما يشمل التعليم الذي ينظم في القرويين أو ابن يوسف، وهو ما يسمى بالتعليم الأصيل "وهم بذلك يحتفظون له بتمثل تاريخي يختلف عن التعليم الحديث" الذي أحدث مؤخرا، وخاصة في فترة الاحتلال الفرنسي، وما بعده من طرف الدولة التي خصصت له مؤسسات إعدادية وثانوية وجامعية..."، وأساس هذا التمييز في الفكر المغربي

[1] ذ.أحمد اليربوعي: واقع تدريس العلوم الشرعية بالمدرسة العتيقة، تدريس المواد الشرعية والأدبية في المدارس العتيقة، مقاربات منهجية، أعمال دورات تكوينية تربوية نظمت لفائدة مدرسي التعليم العتيق 1431 هـ- 2010،ص:84.

[2] د.عبد الهادي التازي: جامع القرويين (مذكور):445-446.

الرصين بين التعليمين أن" هدف المدارس العتيقة ومنطلقاتها مستمدين من المسجد النبوي الشريف باكورة المدارس الإسلامية التي تخرج منها أفواج الدعاة والهداة الصالحين من الصحابة الكرام والتابعين، وأنه بمجرد أن أسعد الله هذا البلد الأمين بالأبرار الفاتحين كعقبة بن نافع وحسان بن النعمان ومن معهما أنشأوا سلسلة من المساجد في مختلف الأصقاع لتكون منطلق الدعوة إلى الله تعالى ونشر العلوم الدينية، فتحول بعضها إلى مدارس كمسجد نفيس بمراكش المسمى برباط شاكر، ومسجد أغمات ومسجد رباط ماسة ومسجد القرويين بفاس الذي تحول من مدرسة إلى أول جامعة في التاريخ، والتي لها الفضل في تزويد المدارس العتيقة المبثوثة بعد ذلك في شتى نواحي المغرب، وخصوصا في سوس بشيوخ أساتذة من العلماء الأجلاء رفعوا راية العلم خفاقة لا في المغرب فحسب بل في إفريقيا والعالم الإسلامي"[1]، وهكذا يبدو أن المدرسة القرآنية في مختلف صورها الابتدائية والجامعية في البوادي والمدن والجبال تقوم على نشر الدعوة الإسلامية، ونشر كتاب الله، والتعريف بالخلق الإسلامي، وبمعالم الحضارة الإسلامية، ومن أجل ذلك حظي التعليم العتيق " ولا يزال ،بالعناية والرعاية من ولاة الأمر الحريصين

[1] ذ.أحمد اليربوعي: واقع تدريس العلوم الشرعية بالمدرسة العتيقة، تدريس المواد الشرعية والأدبية في المدارس العتيقة، مقاربات منهجية، أعمال دورات تكوينية تربوية نظمت لفائدة مدرسي التعليم العتيق 1431 هـ- 2010، ص:83.

على المصلحة العليا للبلاد، ومن أهل الخير والإحسان الذين وقفوا كثيرا من ممتلكاتهم عليه لأداء رسالته العظمى وتحقيق أهدافه الكبرى"[1].

رسالة المدرسة القرآنية في ظل التحديات المعاصرة:

يتضح مما سبق أنني أعطيت لمحة مختصرة عما يتعلق بالعلاقة القوية والمتينة بين أداء رسالة المدرسة القرآنية، وأماكن العبادة والتدريس، فماذا عسانا أن نفعل الآن لاستمرار الكتاب والمسجد في أداء هذه المهمة النبيلة؟[2] ولتحليل هذا السؤال والإجابة عنه أسوق في البداية قولة لأحد المفكرين الغربيين عن الشعور الديني بالمغرب، ونصها أن " المغرب يعد بعد المملكة العربية السعودية البلد الوحيد في العالم الإسلامي الحديث الذي يحتل فيه الدين أهمية قصوى فلقد أصبح الإسلام في أغلب بلدان الشرق الأوسط عادة لا قوة حيوية تكيف حياة الناس اليومية، أما في المغرب فهو قوة متمكنة جذورها حتى من خريجي المدارس الحديثة، ويمكن تفسير محافظة الإسلام على قوته في أن المغرب ظل بعيدا عن المؤثرات الأوروبية سواء على يد المبشرين الدينيين أو العلماء الماديين من جهة،

---

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكتابة العامة، مديرية التعليم العتيق، قسم الشؤون التربوية، مصلحة البرامج والمناهج والتكوين: الوثيقة الإطار المحددة للاختيارات والتوجهات العلمية والتربوية العامة والمدققة لمواصفات المتعلم في نهاية كل طور دراسي بالتعليم العتيق، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1،2012، ص:5.

[2] ذ.محمد حافظ: دور الكتاب القرآني في الحفاظ على القرآن الكريم بالمغرب، الكتاتيب القرآنية، الآليات، الأهداف، الآفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،ج1، ص:61.

وأنه من جهة أخرى شديد الارتباط بتقاليده العريقة التي أخضعت على مر السنين كل مظاهر الحياة للإيمان والمراقبة الدينية..."[1]، وقد كان الباحث مصيبا حين نبه على الوازع الديني وحضوره في السلوك اليومي، مما يجعل الباحث في المجتمعات الإسلامية مطالبا بربط أبناء مجتمعه بمكونات حضارتهم وعناصر هوياتهم، ولعلني في هذا السياق أعتقد جازما بأنه مهما سعت العولمة المعاصرة إلى بناء تصور لنظام عالمي له من المواصفات ما تقتضيه مصالحها فإنها لن تستطيع إخراج الجماعات البشرية عن مكوناتها التاريخية الذاتية مما له علاقة بطرقها في التفكير والعيش والاستمرار خاصة إذا كنا نعتقد جازمين بأن المكون اللغوي يعتبر الحامل الأمين لكل تلك المكونات الإنسانية، وهو بالنسبة للمسلمين لسان كتابهم المنزل على نبيهم ،وهم يشعرون على الدوام بالمسؤولية الجسيمة لحفظه والقيام عليه كي لا تنقطع الصلة بين أبناء العربية بتراثهم الثقافي، وإلى ذلك يشير **د.هادي نهر** بقوله:" ...وليس بجديد إذا قلنا: إن عولمة الثقافة، وسيادة اللغة الإنجليزية–مثلا– على حساب اللغة العربية –كما يريد أكثر من طرف داخلي أو خارجي أن تسود– أشد خطورة وضررا على العرب من الاستعمار الذي ذاقوا مرارته، لأن عولمة لغة أجنبية على حساب اللغة العربية الأم من أخطر العولمات فتكا واستلابا للثقافة العربية والحضارة العربية، والمستقبل العربي، لأن هذه العولمة ستؤدي إلى قطع صلة أبناء الأمة بكل شيء يمتلكونه من الإرث الحضاري

[1] المؤلف البريطاني روم لاندو: محمد الخامس، ترجمة ليلى أبوزيد، مطبعة الأنباء، ط1977،1، ص:49.

والثقافي"[1]، خاصة وأن الدين هو أهم هذه العناصر الحضارية الرئيسة التي ما فتئ كبار المفكرين يوجهون الإنسانية إلى التنبه إليها في رسم التصورات العلمية عن الحاضر والمستقبل البشري، يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في مبحث عن "وظيفة الأديان في المجتمع": "فالذي نريد أن نثبته في هذه الحلقة من البحث هو أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع في يده ولا عنقه، ولا يجري في دمه، ولا يسري في عضلاته وأعصابه، وإنما هو معنى إنساني روحاني اسمه الفكرة والعقيدة"[2]، كما رد **ارنولد توينبي** الحضارات إلى الأديان قائلا: إن وراء كل حضارة من الحضارات القائمة اليوم ديانة عالمية، فالعقائد الدينية هي التي تسير مجرى التاريخ، وإذا كان هناك مستقبل لحضارة ما فذلك في حدود الدين وبسبب منه[3].

---

[1] د.هادي نهر: اللغة العربية وتحديات العولمة، عالم الكتب الحديث، اربد –الأردن، ط1431،1–2010، ص:14

[2] د.دراز (محمد عبد الله):الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، ص:98–99

[3] ذ. الشرقاوي(محمود):التفسير الديني للتاريخ، مجلة العربي، العدد 277، ديسمبر 1981، ص99.

الحاجة إلى هيكلة التعليم الديني بالمغرب:

يستنتج الدارس بناء على ما تقدم أن الحديث عن التعليم العتيق بوجهه الجديد في المغرب المعاصر يدخل في إطار الحديث عن الإصلاح العام للشأن الديني الذي يأخذ به المغرب على عهد الملك **محمد السادس** الذي يقول في أحد خطبه: "لقد دأبنا، منذ تقلدنا إمارة المؤمنين ملتزمين بالبيعة المقدسة، وما تقتضيه من حماية الملة والدين، على إيلاء الشأن الديني الأهمية الفائقة، والحرص على قيام مؤسساته بوظائفها على أكمل وجه، والعناية بأحوال الساهرين عليها، والسير على النهج القويم لأسلافنا المنعمين في الحفاظ على الأمن الروحي للمغرب ووحدة المذهب المالكي"[1]، وفي هذا السياق أكد الخطاب الملكي على الركن المؤسسي في إصلاح الشأن الديني، إذ يقول جلالته: "أما الركن المؤسسي، فيقوم على إعادة هيكلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بإصدارنا لظهير شريف، بإحداث مديرية للتعليم العتيق، وأخرى مختصة بالمساجد، وإعادة النظر في التشريع المتعلق بأماكن العبادات ،بما يكفل ملاءمتها للمتطلبات المعمارية ،لأداء الشعائر الدينية في جو من الطمأنينة..."[2]، وهكذا يتضح أن إحداث مديرية للتعليم العتيق يتماشى والنظرة الجديدة في الضبط والتشري، وينسجم وتطور رؤى الناس واتساع مداركهم، ويعمل على بلورة الحضور الأمثل في مجتمع المعرفة المعاصر،

---

[1] من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس في تنظيم المجلس العلمي الأعلى، والمجالس العلمية المحلية، بتاريخ 10 ربيع الأول 1425 هـ،30 أبريل 2004 بالدار البيضاء.

[2] .نفسه.

الحضور الذي يتناغم والخصوصية الثقافية للمغرب، وذلك باستحضار ما لهذا النوع من التعليم من " أهمية كبرى في الحفاظ على هوية الأمة وتراثها العلمي والحضاري منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم، إذ هو منظومة تربوية كاملة، عبرها ورث السلف الخلف الكتاب والحكمة، والعلوم والآداب..."[1]، وسطرت له أهداف تتجلى في:

- المحافظة على الهوية الإسلامية، والخصوصية الثقافية، والأمن الروحي للبلاد.
- تخريج حفظة متقنين للقرآن الكريم أداء وضبطا ورسما.
- التمكن من اللسان العربي.
- العناية بالتراث العلمي والحضاري للمغرب، وجعله فاعلا مؤثرا في الحاضر والمستقبل.
- تخريج العلماء بالشريعة الذين بهم يقوم الشأن الديني كله في الأمة، وتحيا بهم حركة الاجتهاد الراشد والتربية الربانية.
- تعزيز الدور الريادي للعلماء المغاربة في التأليف في العلوم الشرعية واللغوية، وفي التعليم والإفتاء والدعوة إلى الإسلام.
- صيانة وحدة البلاد، عقيدة وشريعة، وسلوكا، من كل أشكال الغلو والتطرف والتفسخ والتفرق في الداخل والخارج"[2].

---

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور): ص:5.

[2] نفسه:7-8.

ولعلنا من أجل ذلك ربطنا بين هذه الأهداف ومتطلبات مجتمع المعرفة ودور العامل المؤسسي في تحقيق تلك الأهداف في أفق النظرة الكونية الحديثة القائمة على التنافسية في الكفاءات العلمية والابتكارية، وعن أجدرية التعليم العتيق بالحضور الفاعل في مجتمع المعرفة الذي غدا مطلبا ثقافيا في المؤسسة التربوية والمجتمع،و الذي هو ببساطة كما عرفه تقرير التنمية الإنسانية العربية (2003) الذي يحمل عنوان:" نحو إقامة مجتمع المعرفة":" مجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصاد والمجتمع المدني والسياسة، والحياة الخاصة، وصولا للارتقاء بالحالة الإنسانية باطراد، أي إقامة التنمية الإنسانية، وفي العصر الراهن من تطور البشرية، يمكن القول إن المعرفة هي سبيل بلوغ الغايات الإنسانية الأخلاقية العليا: الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، وقد أصبحت المعرفة بصورة متزايدة ،محركا قويا للتحولات الاقتصادية والاجتماعية، وثمة رابطة قوية بين اكتساب المعرفة والقدرة الإنتاجية للمجتمع، وتتضح هذه الصلة بأجلى صورها في الأنشطة الإنتاجية ذات القيمة المضافة التي تقوم على الكثافة المعرفية وتحدد تنافسية الدولة على الصعيد العالمي"[1]، ويتضح أن هذه المنطلقات تنسجم مع ديباجة القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق على ما يلي: انطلاقا من كون نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها

[1] عبد الحق منصف: المناهج والتكوينات ومجتمع المعرفة: في اندماج الاستراتيجيات المعرفية والاستراتيجيات التربوية، دفاتر التربية والتكوين، المجلس الأعلى للتعليم عدد مزدوج 7/6،ماي 2012|2، ص:67-68.

الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقهما، والتواق للإطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع، ووعيا بأهمية التعليم العتيق ومدى انتشاره الواسع بين المواطنين، وتمسكهم به وإقبالهم عليه، لمتانته وخصوصية منهجيته وملاءمته للظروف الاقتصادية والاجتماعية. وتأكيدا لدوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، من خلال مساهمته الفاعلة في الرفع من نسبة التمدرس والتقليل من نسبة الأمية، وإمداده البلاد بما تحتاج إليه من القيمين الدينيين والعلماء ذوي التكوين المتين، وسعيا للمحافظة على خصوصياته، واستمرار الاستفادة من مميزاته ومكتسباته الإيجابية، ورغبة في العناية به ودعمه ومساعدته وتطويره، تجسيدا لمقتضيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وتمكين خريجيه من الحصول على الشهادات والمؤهلات العلمية اللازمة[1]، وسيرا مع الرغبة في التعريف بحقيقة هذا التعليم الذي يسعى الساهرون عليه في الميدان أن يكون تجسيدا للتمثلات الفكرية للمتعلمين، وصورة واقعية للقوانين العاكسة للمستويات العليا لهذه التمثلات، سنعمل في الفقرات المقبلة على عرض بعض تلك المواد المنظمة لسيره الشيء الذي نرى أنه سيمكن من تصور حقيقته المتفاعلة مع

[1] الجريدة الرسمية عدد 4977 بتاريخ 2002/02/11 الصفحة 246(ظهير شريف رقم 10209 صادر في 15 من ذي القعدة 1422(29 يناير 2002) بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق.

حضوره الفعلي الممارس في مختلف المؤسسات الحاضنة لبرامجه ومقراراته العلمية والتربوية، ومن ذلك:

المادة 1:

يهدف التعليم العتيق إلى تمكين التلاميذ والطلبة المستفيدين منه من إتقان حفظ القرآن الكريم، واكتساب العلوم الشرعية، والإلمام بمبادئ العلوم الحديثة، وتنمية معلوماتهم ومعارفهم في مجال الثقافة الإسلامية وضمان تفتحهم على العلوم والثقافات الأخرى في ظل مبادئ وقيم الإسلام السمحة، ويلقن التعليم العتيق بالكتاتيب القرآنية والمدارس العتيقة وبمؤسسات التعليم النهائي العتيق بما فيها جامع القرويين والجوامع الأخرى وفق الأنماط العتيقة، مع مراعاة القوانين والأنظمة المعمول بها في ميدان التربية والتكوين، وطبقا لأحكام هذا القانون والنصوص المتخذة لتطبيقه.

المادة 2:

تشتمل الدراسة بالتعليم العتيق على:1- طور التعليم الأولي. 2- طور التعليم الابتدائي. 3- طور التعليم الإعدادي. 4- طور التعليم الثانوي ؛5- طور التعليم النهائي.

وتحدد برامج ومواد الدراسة والمعامل المقررة لكل مادة وكذا طرق التقويم والامتحانات الخاصة بكل طور بنص تنظيمي.

المادة 3

تستغرق الدراسة بكل طور من أطوار التعليم العتيق نفس مدة الدراسة بكل طور من أطوار الدراسة المماثلة لها بالتعليم العمومي.

المادة 4

تدرس برامج التعليم الأولي العتيق بالكتاتيب القرآنية، وبرامج التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي بالمدارس العتيقة، وبرامج التعليم النهائي بجامع القرويين والجوامع الأخرى ومؤسسات التعليم النهائي العتيق. ويجب أن تتضمن البرامج الدراسية المطبقة بمؤسسات التعليم العتيق حصصا إلزامية من المواد المقررة بمؤسسات التعليم العمومي في حدود الثلثين من الحصص المخصصة لهذه المواد بما في ذلك مادتي اللغات والرياضيات والرياضة البدنية كلما أمكن ذلك. وتتوج الدراسة بطور التعليم الابتدائي بشهادة التعليم الابتدائي العتيق، وبطور التعليم الإعدادي بشهادة التعليم الإعدادي العتيق، وبطور التعليم الثانوي بشهادة باكالوريا التعليم الثانوي العتيق، وبطور التعليم النهائي بشهادة العالمية في التعليم العتيق[1]. والهدف من هذا الظهير هو التحكم في المدارس العتيقة قانونيا وتدبير شؤونه بطريقة عقلانية منظمة وممنهجة تحت إشراف الدولة، ومن ثم فوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب هي التي تحدد برامج التعليم العتيق ومناهجه بتنسيق مع وزارة التربية الوطنية،وتعتبر الوثيقة الإطار المحددة للاختيارات والتوجهات العلمية والتربوية العامة والمدققة لمواصفات المتعلم في نهاية كل طور

[1] نفسه.

دراسي بالتعليم العتيق الصادرة عن مديرية التعليم الوثيقة التي تتضمن الملمح الجديد للتعليم الديني بالمغرب، وقد جاء في الصفحة الخامسة منها أن التعليم العتيق "منظومة تربوية كاملة، عبرها ورث السلف الخلف الكتاب والحكمة، والعلوم والآداب، منه تخرج العلماء، والأدباء، ورجال الدولة على اختلاف مراتبهم ووظائفهم"[1]، كما تضمنت ما يتعلق بتنظيم الدراسة بأطواره وبالشهادات التي يتوج بها خريجو كل طور، والمؤهلات والكفايات والمواصفات التي يجب أن تتحقق في الخريجين منها ما هو مشترك بينهم جميعا ،ويتنامى مع الأطوار، كالتشبث بالقيم الدينية والوطنية، ومنها ما هو خاص بكل طور بحسب المواد والمضامين العلمية المقررة في البرامج الدراسية المعدة لتكوين التلاميذ والطلبة حسب الأطوار الدراسية، والتي يهتدى في وضعها إلى أحدث الرؤى التربوية مع مراعاة الخصوصية العلمية والتربوية للتعليم العتيق بالمدرسة المغربية، وفي هذا السياق تساءل أحد الباحثين: "إن الحديث عن التعليم العتيق اليوم قائم أساسا على ضرورة تطوير أدائه، سواء على المستوى البيداغوجي التربوي الخاص، أو على المستوى البرمجي العام، أهدافا ومقاصد وآفاقا، وذلك لتجويد مردوديته الإنتاجية، مواكبة لتطور العصر وحاجياته الثقافية والعلمية والمنهجية، وبما أن التعليم العتيق قائم أساسا...على هدف إنتاج مفهوم "العالمية" بالقصد الأول، وعلى هدف تخريج "العالم" الذي به تناط وظائف الإمامة العلمية في الأمة، فقد شكل تدريس العلوم الشرعية واللغوية العمود الفقري لبرامجه، لكن لا بد من التساؤل في هذا السياق: إلى أي حد يشكل

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص:5.

تدريس هذه المواد–بالمناهج القائمة اليوم في أغلب مدارس التعليم العتيق بالمغرب–وسيلة فعالة لإنتاج ذلك المفهوم وتحقيق تلك الغايات والمقاصد؟"[1]، ومن أجل حظيت المقارنة بين التعليم الحديث والتعليم العتيق جانبا من الاهتمام الذي يحظى به تطوير وتأهيل التعليم العتيق بالمغرب حتى يتسنى له تحقيق أهدافه التربوية والعلمية والحضارية، حيث يتبين "بالمقارنة بين التعليمين:

أ– أن التعليم الحديث يهتم بالعلوم المتنوعة التي تخدم العصر كاللغات الأجنبية والعلوم الفيزيائية والطبيعية والرياضية، وغير ذلك مما لا يعذر منه الإنسان في هذا العصر بخلاف التعليم العتيق الذي تنقصه هذه العلوم..

ب–أن التعليم الحديث يعتمد منهجية متطورة تتمركز حول المتعلم، فلم يبق الدرس محصورا في الأستاذ من بدايته إلى نهايته، وإنما الطالب هو الذي يركب الدرس ويواكبه..

ت–في التعليم الحديث يكون الطالب قادرا على الاندماج في المجتمع ،وإثبات ذاتيته فيه، فغالبا ما تجد الطالب المتخرج من التعليم العصري يواكب العصر، وخاصة عندما يجتهد في العلوم الشرعية...بخلاف الطالب في التعليم العتيق الذي تربى بسبب طريقة هذا التعليم على الانطوائية حول الذات فيجد صعوبة في الاندماج والتأقلم مع الوضع الجديد الذي يعتمد

[1] ذ.فريد الأنصاري: العلوم الشرعية واللغوية، مؤسسات التعليم العتيق ومناهج التدريس، أعمال لقاءات تربوية نظمت لفائدة مدرسي التعليم العتيق(2005–2007)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1430–2009، ص:31–32.

على تكوين الطالب نفسه بنفسه، والحوار والانفتاح على المحيط الذي يعيش فيه.

أ- أن طلبة هذا التعليم يتعمقون في العلوم الشرعية والعلوم العربية، إضافة إلى الحفظ الكامل للقرآن الكريم عن ظهر قلب برسمه وقواعده، فالمدرسة العتيقة لا تسمح للطالب أن يدرس أي متن إلا بعد إتقانه لحفظ القرآن.

ب-أخذهم العلم من أفواه الشيوخ أكسبهم منهجية في الاستدلال على القواعد، سواء الفقهية أو الأصولية أو النحوية، ولذلك عندما تسأل الطالب عن إعراب جملة مثلا فلا يتردد في إعرابها إعرابا تاما مع الاستدلال على القواعد من المتون أو الشروح أو الشواهد التي تلقاها في المدرسة من شيخه، وكذا في سائر العلوم.

ت-التوسع في العلوم، فالمتخرج من التعليم العتيق يكون موسوعة في علوم شتى فهو يدرس علم النحو واللغة والفقه والحساب والفلك والفرائض والتفسير والحديث وغير ذلك"[1].

يبدو مما سبق أن تأهيل التعليم العتيق طرح قضايا متعددة تتصل بالجوانب المعرفية والمنهجية لعلاقتها بالأهداف المنوطة به في ظل العالم المعاصر بأفكاره وتياراته المختلفة وبابتكاراته العلمية والتكنولوجية المتنوعة ،مما جعل مديرية التعليم العتيق تتولى وضع البرامج والمناهج والدراسية لتكوين طلبة هذا النوع من التعليم في أطوار ومستويات دراسية تخضع للتقنين والتقييم والإشهاد، وهناك ارتباط متين

[1] ذ.أحمد البوشيخي: المدارس العتيقة: واقع وآفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، مطبعة الأمنية، الرباط، ط،1430،1-2009، ص:25-29.

بين كل هذه العوامل لإنتاج شخصية علمية مغربية بمواصفات معينة في الشأن الديني، ويستطيع الملاحظ أن يقف من خلال المقررات والكتب المدرسية ،ومختلف الدورات التكوينية التي تنظمها مديرية التعليم العتيق أن العناية بالمنهجية العلمية في التدريس من أجل تحقيق الكفايات والأهداف والمواصفات حاضرة بقوة في توجيه العملية التعليمية التعلمية بالمدارس العلمية العتيقة، وفي جميع الأطوار الدراسية لعلاقة ذلك بأهداف التعليم العتيق التي نصت عليها الوثيقة الإطار كالتالي:

"يهدف التعليم العتيق بجميع أطواره إلى سد الحاجات الكبرى للأمة فيما يتعلق بما يلي:

- المحافظة على الهوية الإسلامية، والخصوصية الثقافية، والأمن الروحي للبلاد.
- تخريج حفظة متقنين للقرآن الكريم أداء وضبطا ورسما.
- التمكن من اللسان العربي.
- العناية بالتراث العلمي والحضاري للمغرب، وجعله فاعلا مؤثرا في الحاضر والمستقبل.
- تخريج العلماء بالشريعة الذين بهم يقوم الشأن الديني كله في الأمة، وتحيا بهم حركة الاجتهاد الراشد والتربية الربانية.
- تعزيز الدور الريادي للعلماء المغاربة في التأليف في العلوم الشرعية واللغوية، وفي التعليم والإفتاء والدعوة إلى الإسلام.

- صيانة وحدة البلاد، عقيدة وشريعة، وسلوكا، من كل أشكال الغلو والتطرف والتفسخ والتفرق في الداخل والخارج"[1].

ويتصل بهذا الحرص على الاستفادة من أحدث المناهج في التربية والتكوين، وفي التعامل مع المتعلم وفق أحدث المقاربات، وحمل المدرسين على الاستفادة منها ،والإقبال عليها، والتملء منها ،وتوظيفها في الفصول الدراسية، وفي جميع الأماكن التي يلقن بها التعليم العتيق كما هو منصوص عليه قانونا (المادة 1)، مراعاة خصوصية التعليم العتيق، التي أولتها الوثيقة الإطار عناية كبرى، من خلال الإرشاد إلى أنه: "لكي يحقق التعليم العتيق أهدافه، لا بد من مراعاة عدة أمور، على رأسها خصوصيته التي تتمثل في:

- بدء التعلم فيه من إتقان حفظ القرآن الكريم كله في الطور الأولي والابتدائي.
- قيام التعلم فيه على حفظ أشهر المتون في مختلف العلوم.
- جمع التعلم فيه بين التحقق من مسائل العلم والتخلق بآدابها ومقتضياتها.
- ارتباط التعليم فيه بالمسجد تربية وإشعاعا وتأهيلا"[2]، ولا شك فإنه من خلال التوضيح السابق للأهداف التي يسعى لها نظام التربية والتكوين في التعليم العتيق، وانطلاقا من خصوصيته يتطلع الباحث إلى التساؤل عن الاختيارات والتوجهات التي تؤطر مضامينه؟،وذلك ما بينته تلك الوثيقة في الخطوات التالية:

---

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص:7-8.

[2] نفسه:8-9.

- " الانطلاق من كتاب الله عز وجل والسنة النبوية أصلا حاكما ومرجعية عليا.

- اعتماد العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني، كما كان عبر القرون، اجتهادا موحدا للبلاد في العقيدة والفقه والسلوك مع فسح المجال للدراسة المقارنة.

- إتقان رواية ورش عن نافع في قراءة القرآن الكريم مع الإلمام بالروايات الأخرى.

- الاهتمام بالمقاصد إلى جانب القواعد، وبالحكم إلى جانب الأحكام ،وبالعملي إلى جانب النظري.

- الاهتمام بفقه الواقع وفقه التنزيل إلى جانب فقه الدين.

- الاهتمام بالعلوم الإنسانية والعلوم المادية إلى جانب التركيز على العلوم الشرعية.

- إيثار كل ما يوحد ويقوي ويرص الصف، والابتعاد عن كل ما يفرق ويضعف ويمزق"[1].

وهكذا وسيرا مع هدفنا في تقديم النموذج المغربي في التعليم العتيق من خلال ما سبق، وبالنظر إلى البرامج والمقررات الدراسية التي يخضع لها تلاميذ وطلبة كل طور دراسي نتساءل ما هي الصفات التي ينشد التعليم العتيق في خريجي أطوار التعليم العتيق المختلفة؟، وسنركز في التعريف بهذه القضايا على

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص9-10.

الصفات العلمية الخاصة بكل طور، مع التنبيه على أن الوثيقة الإطار التي نقدم من خلالها التنزيل لهذا النظام التربوي على أرض الواقع، تفصل في هذه الصفات، ولا تقتصر فقط على الصفات العلمية بل تتعداها إلى الصفات القيمية والمهارية فإن الصفات العلمية التي لا بد أن تتحقق في متعلمي الطور الأولي تتجلى في جعله:

- متقنا للنطق السليم للحروف العربية.
- متقنا لقراءة وكتابة الحروف العربية.
- قادرا على كتابة ما يملى عليه من القرآن الكريم ،وقراءته قراءة صحيحة.
- حافظا لأجزاء من القرآن الكريم"[1].

وأما بالنسبة لمتعلمي الطور الابتدائي، فإن الصفات العلمية المنشودة فيهم تتجلى في:

- إتقان حفظ القرآن الكريم برواية ورش أداء وضبطا ورسما، والقدرة على تطبيق قواعد التجويد عند تلاوته.
- حفظ المتون التعليمية الأساسية، والاطلاع على بعض شروحها.
- امتلاك رصيد هام من الأحاديث النبوية الشريفة حفظا وفهما.
- الإلمام بالأحكام الفقهية الأساسية، ولا سيما أحكام العبادات.
- الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها، مع الإلمام بمبادئ لغة أجنبية وقواعدها.

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص15.

- اكتساب معارف اجتماعية وثقافية محلية وجهوية ووطنية.
- الإلمام ببعض مبادئ الرياضيات والقواعد العلمية والفنية والتكنولوجية".[1]

إن التعليم العتيق يركز على تحقق تلك الصفات في الخريجين والتخلق بها ،ولذلك نلمس التدرج في اكتساب المؤهلات والمهارات والمعارف المحققة لتلك الكفايات، وهكذا يتم التركيز في الطور الإعدادي العتيق على جعل المتعلم من الناحية العلمية:

- متقنا لحفظ القرآن الكريم أداء وضبطا ورسما.
- ممتلكا لرصيد من الأحاديث النبوية حفظا وفهما.
- مستوعبا لقواعد اللغة العربية وأساليبها التعبيرية وآدابها، قادرا على توظيفها واستثمارها، وحافظا لعدد هام من جديد أشعار العرب.
- ملما ببعض اللغات الأجنبية.
- مستوعبا للضروري من فهم القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وعلومه.
- مستوعبا للمقرر في الفقه وأصوله، ولاسيما أحكام المعاملات، ومطلعا على مضامين العلوم الشرعية الأخرى.
- ملما بأصول العقيدة الإسلامية.

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص17.

- مكتسبا لمعارف عن تاريخ وطنه وحضارة أمته، مدركا لمدى تفاعل وطنه مع المحيط الإقليمي والدولي.
- مستوعبا للمبادئ الأولية للعلوم الإنسانية والطبيعية والفيزيائية والبيئية.
- مطلعا على مبادئ المنهج العلمي وتطبيقاته" [1].

وانطلاقا من الطور الثانوي الإعدادي تبدو ملامح الصفات المؤهلة للاندماج في المسؤولية الاجتماعية وأداء الأدوار الدينية المطلوبة في الحياة العامة، ولذلك تنص الوثيقة الإطار على تتمثل الصفات العلمية في خريجي الطور الثانوي في:

- إتقان حفظ القرآن الكريم أداء وضبطا ورسما.
- التمكن من القرآن وعلومه والسنة وعلومها.
- التمكن من قضايا علم المواريث والوثائق والتوقيت نظرا وتطبيقا.
- امتلاك علوم الآلة امتلاكا يؤهله لفهم مختلف مكونات التراث الإسلامي وتحليله.
- مستوعبا للمقرر في لغتين أجنبيتين استيعابا يؤهله للتواصل بها.
- مستوعبا لقضايا الفكر الإسلامي والفلسفة والمنطق.
- امتلاك أدوات التعامل مع أنواع الخطاب الشرعي والأدبي والفكري.
- القدرة على متابعة الدراسة العليا، أو الاندماج في الحياة الاجتماعية والمهنية.

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص20-21.

- الأهلية للإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد"[1].

وأما بخصوص الصفات العلمية التي يتوخاها المنهاج التربوي للطور النهائي العتيق فقد فرعت إلى قسمين:

أ- صفات علمية غائية، وتتجلى في جعل المتعلم:

- متمكنا من القرآن الكريم أداء وضبطا ورسما.
- فقيها في الدين عقيدة وشريعة وسلوكا.
- فقيها في فقه الواقع بمختلف مكوناته محليا وإقليميا ودوليا.
- فقيها في التنزيل السليم للدين في الواقع على اختلاف قضاياه.
- حريصا على التوسط والاعتدال، مهتما بجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

ب- صفات علمية بمثابة الوسائل، وتتجلى في جعل المتعلم:

- متمكنا من علوم اللسان والآداب العربية.
- متمكنا من نصوص الأحكام في القرآن والسنة والخلاف العالي.
- مستوعبا لأصول وقواعد علم تخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد.
- متمكنا من طرق الاستنباط ومناقشة الأدلة وضوابط الترجيح بين الأقوال.
- متمكنا من مناهج البحث وقواعد الجدل العلمي والمناظرة والفكر الإسلامي,

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص23.

- مطلعا على مداخل العلوم الإنسانية المختلفة في الاجتماع والاقتصاد والقانون والسياسة وغيرها.
- متمكنا من التواصل بلسانيين أجنبيين على الأقل"[1].

وهكذا يتضح للباحث أن التعليم العتيق منظومة تربوية تسعى إلى تكوين تلاميذ وطلاب وكفاءات بمواصفات معينة للمساهمة في التنمية الشاملة للمجتمع خاصة وأن وظيفة التربية والتكوين تتجلى في تأسيس الأجيال القادرة على مواجهة تحديات العصر بقدرات ابتكارية وكفايات عالية في تدبير مختلف الوضعيات. ،وحيث أن العنصر البشري هو العنصر القادر على استيعاب هذه المهمة فقد أولته المناهج التربوية كبير اهتمامها لذلك الغرض متسلحة بمقاربة الكفايات التي "جاءت بديلا لطرق التدريس التقليدية التي كانت تعطي أهمية للمحتوى الدراسي ،وتعتبر المعرفة خارجة عن ذات المتعلم، يجب أن يقدمها له المدرس الذي يعتبر المالك الوحيد لها[2]"،والذي تحول دوره إلى المنشط الذي يعمل على توجيه المتعلمين والعمل على إكسابهم التسيير الذاتي لشخصياتهم عن طريق إكسابهم كفايات مندمجة للتعامل مع الوضعيات المختلفة الداخلة في مجال اهتماماتهم

[1] وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الوثيقة الإطار (مذكور)، ص 26-27.

[2] حمد الله اجبارة: مؤشرات كفايات المدرس من صياغة الكفايات إلى وضعية المطابقة، ط،1،2009، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص:9.

وتخصصاتهم. ومعلوم أن وزارة التربية الوطنية بل والمنظومة التربوية برمتها بالمغرب تبنت هذه المقاربة في العملية التعليمية – التعلمية، وجعلت منها المحور الأساسي الذي تمت على إثره ديباجة الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وصياغة البرامج والمحتويات الدراسية مما يعني أن هذه المقاربة هي الرؤية المعول عليها في تخريج طلاب مؤسساتنا التعليمية وفق المواصفات المرغوبة في المجتمع المغربي. وهي المقاربة التي ينفتح عليها المدرس بالتعليم العتيق رغبة في خلق التميز المنشود ،والجودة المطلوبة، وإنتاج النموذج المرغوب فيه في الحقل الديني المغربي حفاظا على الهوية الإسلامية للمغرب وموقعه الحضاري الثقافي والتاريخي بين الشعوب والأمم.

خاتمة:

انطلق هذا البحث من الرغبة في تسليط مزيد من الأضواء على دور المدرسة القرآنية في شمال أفريقيا إبان الفتح الإسلامي، وبعده، مركزين على تجلياتها في المغرب من خلال إثارة العلاقة بين استمرارية رسالتها، ودورها في الحفاظ على مقومات الشخصية الإسلامية، مبرزين في هذا الصدد أن مرجعية المدارس القرآنية برمتها تعود إلى نشر الإسلام واللغة العربية اقتداء بالسنة النبوية التي عمل العرب الفاتحون الأولون على تحفيز سكان المغرب الأمازيغ على الأخذ بها لما وجدوا فيهم من ميل للتطبع بميسم الحضارة الإسلامية. وبعد جولة في هذا الإطار العام أمكن تسجيل كثير من النتائج والحقائق، أشير إلى أبرزها فيما يلي:

- الوقوف على التجاوب القوي بين سكان المغرب والدين الإسلامي.

- إبراز العلاقة بين المغاربة والعرب الفاتحين، مع النظر والمقارنة بين مميزات شخصياتهم.

- عرض بعض أعمال القادة العرب الفاتحين، والمتجسدة على الخصوص في إنشاء مراكز وأربطة لتدريس القرآن وتعليم اللغة العربية، والتي كانت النواة الأولى لميلاد حضارة جديدة في الغرب الإسلامي.

- مساهمة جهود العرب الفاتحين الأول في طبع المغاربة بطابع الحضارة الإسلامية سرع بفتح الأندلس، كما سرع بتعرف أوربا على حضارة الإسلام التي نوه الباحثون الغربيون المنصفون بدورها التاريخي في خدمة الإنسانية عبر التاريخ.

- أن وجود القرآن الكريم منذ الفتح الإسلامي بالمغرب قد وسم الشخصية المغربية بمميزات القيادة السياسية والبناء الحضاري الذي يتأسى بالمنهج النبوي، وقد شهد على ذلك نشأة كثير من الدول المنطلقة من المدارس القرآنية التي رعاها المجتمع للحفاظ على حقيقة أبنائه وهوياتهم الإسلامية الأصيلة.

- أن تشبث المجتمع بالمدارس القرآنية يبرز قيامه المستمر على واجب تجديدها للحفاظ على التناغم المستمر بين الشخصية الإسلامية المعاصرة، وملامحها الأصلية في الماضي، مع استحضار الانغراس في العالم المعاصر، وما يفرضه من علاقات التواصل والتبادل بين الأجناس والثقافات المختلفة.

-أن استحضار التحديات الحضارية المعاصرة، وما أصبحت تتطلبه من يقظة متزايدة للحفاظ على الهوية الثقافية ومكوناتها الوجدانية واللغوية، مع إبراز وجهها الصحيح بكل ثقة في النفس استدعى تكثيف الجهود، وتبادل الخبرات، ولهذا الغرض توخينا في هذا البحث عرض التجربة المغربية الراهنة في التعليم العتيق باعتباره النظام الجديد المحتضن للمدارس القرآنية بالمغرب حيث سعينا إلى بيان أهميته التربوية من جهة، وإلى بيان أسسه ومناهجه ومواصفات خريجه من جهة ثانية، وإلى بيان علاقة قانونه بممارساته على أرض الواقع من جهة ثالثة. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قائمة المصادر والمراجع:

1- اجبارة (حمد الله):مؤشرات كفايات المدرس من صياغة الكفايات إلى وضعية المطابقة، الطبعة الأولى:2009،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

2- ذ. البوشيخي (أحمد):المدارس العتيقة: واقع وآفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشوؤن الإسلامية-المملكة المغربية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى: 1430-2009.

3- د.(التازي) عبد الهادي: جامع القرويين، المسجد والجامعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى :1973.

4- د. الجراري (عباس): الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى: 1979.

5- ذ. (حافظ) محمد: دور الكتاب القرآني في الحفاظ على القرآن الكريم بالمغرب، الكتاتيب القرآنية، الآليات الأهداف، الآفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

6- د.دراز(محمد عبد الله): الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم.

7- ديورانت (ول): قصة الحضارة، ترجمة د.زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة1965.

8- د.(سعيدان) أحمد سليم: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ربيع الأول 1409 هـ- نوفمبر 1988.

9- عنان(محمد عبد الله): كتاب: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية: 1411-1990.

10- ذ.(كنون)عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الثقافة،ط2.

11- لاندو(روم): محمد الخامس، ترجمة ليلى أبو زيد، مطبعة الأنباء، الطبعة الأولى: 1977.

12- د. (نهر) هادي: اللغة العربية وتحديات العولمة ، عالم الكتب الحديث، اربد -الأردن، الطبعة الأولى:1431-2010.

13- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكتابة العامة، مديرية التعليم العتيق، قسم الشؤون التربوية، مصلحة البرامج والمناهج والتكوين: الوثيقة الإطار المحددة للاختيارات والتوجهات العلمية والتربوية العامة والمدققة لمواصفات المتعلم في نهاية كل طور دراسي بالتعليم العتيق، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 2012.

المجلات و الدوريات وأعمال الندوات:

1- أعمال دورات تكوينية تربوية نظمت لفائدة مدرسي التعليم العتيق منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1431 - 2010.

2- أعمال لقاءات تربوية نظمت لفائدة مدرسي التعليم العتيق(2005-2007)،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1430-2009.

3- الجريدة الرسمية عدد 4977 بتاريخ 2002/02/11 الصفحة 246 (ظهير شريف رقم 10209 صادر في 15 من ذي القعدة 1422(29 يناير 2002) بتنفيذ القانون رقم 13.01 في شأن التعليم العتيق.

4- دفاتر التربية والتكوين، المجلس الأعلى للتعليم، المملكة المغربية، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، عدد مزدوج 7/6،ماي 2|2012.

5- مجلة العربي الكويتية العدد: 243، فبراير 1979، والعدد 277، ديسمبر 1981.